كلمة رئيس الجامعة الأنطونيَّة الأب ميشال جلخ
في عدد خاص لجريدة النهار
بمشاركة أكثر من ٢٠٠ شخصية من القطاعات السياسية والإعلامية والثقافية...
١٨ شباط ٢٠١٨

لكارل ماركس جملة شهيرة مفادها أنَّ ما يميِّز أسوأ مهندس عن أمهر نحلة، هو أنَّ المهندس يحمل ما يبنيه في ذهنه أوَّلاً، والنحلة لا. وما يميِّز بناء وطن عن دفع الوطن كسيّارة معطلة، هو القدرة على حمل وطن-مثال في أذهاننا أوَّلاً وتحويله من أمل وحلم إلى مشروع يمغنط الحاضر من المستقبل، بحيث تنتظم أعمالنا الحاضرة في ضوئه. ويفترض ذلك القدرة على مقاومة اللحظة، مقاومة إغراء المبادرة السريعة ومراكمة الأفعال والإنجازات الوهميَّة. يحتاج زهدًا بالمردود الانتخابيِّ الآني، لأنَّه التزام بمصلحة شريحة من الناس صامتة وغير ناخبة، هي أجيال الغد.

في عالم باتت الاستدامة والتخطيط الطويل الأمد لازمة أيّ تقدّم، ما زلنا كلبنانيِّين نعيش على إيقاع الاستحقاقات والاستثناءات والطوارئ، بحيث نبقى لاهثين لحلِّ المشاكل التي تنتجها، بالجملة، "حلولُنا" التي نستعجلها، بالمفرَّق. فكيف يمكننا أن نُدخل دولة ومجتمعًا كدولتنا ومجتمعنا في منطق الأمد الطويل؟ وكيف ترانا نعطي للأجيال القادمة القدرة على الضغط على خياراتنا الحاليَّة، بحيث لا نستسهل حرمانهم من البيئة السليمة كرمى لمشاريع صناعيَّة أو سياحيَّة ضيقة الأفق، تُربح حفنة صغيرة من الناس، على المدى المنظور، وتَحكم بالمرض على الجميع على المدى البعيد؟ كيف نُقنع مجتمعًا تعوَّد الترقيع ومنطق المردود الفوريّ بأنَّ تصدير الأدمغة الذي يدرّ أموالا على المدى المنظور، يحكم على اقتصاده وفرص تطوره بالاعدام على المدى البعيد؟ وأنَّ الخطاب الطائفيَّ الإقصائيَّ قد يُربحنا معركة انتخابية ولكنَّه، ولا شكّ، يزيد احتمالات خسارتنا حرب البقاء الحرِّ والكريم والمسالم؟ وأنَّ الترخيص العشوائي للجامعات وأشباه الجامعات وإن أعطى السياسيِّين منافع مرحليَّة والشباب انطباعًا كاذبًا بأنَّ حظوظهم في التأهيل المهنيِّ ارتفعت، إلا أنَّه يزيد تشوّهات سوق العمل والبنية الانتاجيَّة عندنا، ويعمِّق الضائقة الاجتماعية والاقتصادية والتردِّي الثقافيِّ على السواء؟

كيما نصنع وطنًا، لا مفرَّ لنا من الاعتراف بأنَّ الصناعة نقيض الارتجال: الصناعة مراس في التوفيق بين مقتضيات متعدِّدة منها الكلفة، والنوعيَّة، وتوقُّعات المستهلك، ومقتضيات المنافسة... مراس يقضي بأن ينظر المرء إلى أصغر قطعة وأبسط حركة في المسار من منظار المنتج النهائيِّ المراد تصنيعه. وإنَّ حظوظنا ببناء وطن منوطة ولو جزئيًّا بقدرتنا على الخروج من الديسبراكسيا الجماعيَّة، هذا الداء الذي يصيب خلايا مجتمعنا العصبيَّة ويعيق حركتها، والنظر إلى أنفسنا من الغد. فالمدى البعيد ليس بعيدًا، إنه غدنا، غد أولادنا وأولاد المستفيدين الآنيين على حدّ سواء.

وبعد، تخرج إلى عملك صباحًا، فتصطادك حفر في الطريق يقال لك إنَّ الهدف منها مدُّ شبكة الصرف الصحِّيّ. وبعدها بشهرين، وما أن يُفلش الإسفلتُ الجديد حتّى يُنقب مجدَّدًا لمدِّ شبكة مياه الشفة، وبعدها يذهب نصف الزفت مع أوَّل شتوة، فيرقَّع، ثم يحفر من جديد لمدِّ خطوط الهاتف، أو بناء رصيف، أو لأنَّ ورشة بناء

احتلَّت الطريق العام ولا من يسائل. فتعرف أنَّ صناعة الوطن لمّا تبدأ بعد، ولا هي على وشك أن تبدأ، وتتمنّى لو أنَّ حياتك بعهدة نحلة... ولو لم يرض ماركس بذلك!